ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Assis.Lect. Mayadah Fadel Issa

Wasit University
College of Education of Human Sciences

Email:
m.essa@uowasit.edu.iq
07739059642

Keywords:

Al-Hajjaj, Ibn Al-Abar , potery

Article info

Article history:

Received 17.Febr.2023

Accepted 12.Apr.2023

Published 29.May.2023

Al-Hijaj in the Poetry of Ibn Al-Abar Al-Balansy (D. 658 A.H.)

A B S T R A C T

The study of Al-Hajjaj in the poetry of Ibn Al-Abar Al-Balansy reveals that he possesses his instruments, as evidenced by his handling of the lyrical texts of his Diwan. The majority of the time, his closeness to religious sources were indicated by the Holy Qur'an's influence on his poetic dictionaries, which included several argumentative terms and phrases that he quoted and incorporated into his poetry. The arguing imagery, which was consistent with the character of Andalusian culture, was persuasively on target. Within the folds of his poetry and poems, incredibly inventive pictures emerged that did not diverge from the Arab literary heritage in the sources of law and literature. To convey the substance of al-Hajjaj poetry by Ibn al-Abar to the audience of recipients, the research will consider the analytical technique al-Hajjaj used to convince the recipient of what was presented to him to win his mind and affect his behavior.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol51.Iss1.3561

الحِجاج في شعر ابن الأبار البلنسي (ت٦٥٨هـ)

م.م. ميادة فاضل عيسى

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يتضح من خلال دراسة الحِجاج في شعر ابن الأبار البلنسي أنه ممتلك لإداوته ، وقد ظهر ذلك جلياً في تعاطيه مع النصوص الشعرية لديوانه، وقد بدت ثقافته واضحة جلية في سعة اطلاعه الأدبي على الإنتاج الشعري لشعراء العربية الذين سبقوه، وبدأ توظيفه لثقافته توظيفاً فطناً في أكثر الأحيان ، كما أن قربه من المصادر الدينية كان واضحاً من خلال تأثره بالقرآن الكريم الذي اضاف الى قاموسه الشعري كثيرٌ من المفردات والألفاظ الحجاجية التي اقتبسها وضمنها في شعره كما أهتم البلنسي بالتراث الشعري والفكري ،وبهذا انعكس تنوع المصادر الثقافية في شعر ابن الأبار وبالأخص الصور

الحجاجية التي كانت تنسجم مع طبيعة المجتمع الأندلسي مقنعاً قريب المأخذ، فقد ظهر بين طيات ديوانه وقصائده صور لم تنفصل عن التراث الأدبي العربي في مصادر التشريع والأدب .

وسيراعى البحث من خلال المنحى التحليلي لقصائده التي استعمل فيه الحجاج ليقنع المتلقي بما يعرض عليه لاستمالة عقله، والتأثير في سلوكه في سبيل ايصال فحوى شعره الحجاجي الى جمهور المتلقين .

الكلمات المفتاحية : الحجاج ، ابن الأبار ، شعر.

المقدمة:

عند بحثنا لمفهوم الحجاج عند شاعرنا البلنسي نرى أنه من أهم المفاهيم التداولية اشتغالاً في الخطاب ، فقد يشكل المنجز البحثي خطوة من خطوات البحث الأدبي التي تعنى بدراسة الدلالة الشعرية وتشكيل معطياتها ، إذ اصبحت الوظيفة الحجاجية التي يحملها المعنى الكلامي من أهم وظائف التداولية ومالها من تأثير واقناع لدى المتلقي .

فقد تضمن هذا البحث دراسة اسلوب الأمر واسلوب الاستفهام واسلوب النداء والتي عبر عنها شاعرنا ابن الأبار من خلاله عما يدور في خلجات نفسه المفعمة في موضوعات شعرية متنوعة كالمدح، والغزل، والغربة ، والحنين، والخمر، والزهد، وتتوالى تلك الصور الحاملة للمعنى بالأساليب البلاغية جاءت كمعطى أدبي مميز، فقد ارسى العرب أسس حضارة شامخة في الأندلس امتدت امجادها لقرون طويلة ، وكانت محطة عبرت من خلالها الثقافة العربية الى العالم أجمع، وابن الأبار أحد أولئك الأعلام الذين مثلوا مرحلة مهمة في تاريخ الفكر العربي في الأندلس .

إنَ شعر ابن الأبار اتى عموماً والأندلس خصوصاً ميداناً خصباً للحجاج وآلياته مما يجعل فيه مجالا ثرياً للدراسات الحجاجية المعاصرة ؛لأن له جذوراً عميقة متأصلة في الأدب العربي، وقد ظهرت من الورقة البحثية أن التأثير والإقناع في الخطاب اللغوي ومنه الشعري لا يستغني عن آلية بيانية فاعلة لتحقيق الاستجابة ومن تلك الآليات كان توظيف الحجاج في التخاطب بمواقفه المتعددة ليمثل دوافع متنوعة عايشها الشاعر وارتكز عليها خطابه الحجاجي بموضوعاته المتنوعة التي يجمعها سقف الحوار والنقاش إذ تميز أسلوبه في معالجته لأمور حياته ورؤيته إياها تميز البيئة التي عاش فيها عقليا وفنيا وادبياً .

وكطريقة للعرض والصياغة تبنت الباحثة منهج البحث الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات والبيانات من المرجع المعتمد بموضوعة البحث المنتقى فضلا عما وجدته من مصادر ومراجع ايدت موضوعة طرح ذلك المصدر وتناولته بالشرح والبيان ، وسأحاول في ورقتي البحثية التطرق الى اسلوب ابن الأبار الحجاجي في قصائده الادبية والنظر الى السياق الشعري التي وردت فيه هذه الأدوات.

وعند استقرائنا لدواوين الشعر الأندلسي وبخاصة ديوان ابن الأبار القضاعي نجد أن بواعث الحجاج تركزت في جانبين هما : بواعث ذاتية ، واخرى اجتماعية.

ابن الأبار الحجاجي في قصائده الادبية والنظر الى السياق الشعري التي وردت فيه هذه الأدوات، وبحسب العناوين المؤشرة في أدناه:

وسنعرض في مبحثنا هذا ما جاء في حياة ابن الأبار بإيجاز وسنعرض ونحلل النصوص التي انضوت ضمن تلك البواعث من خلال ديوانه والقصائد التي انضوى عليها الحجاج او ادواته البلاغية الجديدة ، حيث تفنن الشاعر ابن الأبار في اخراج مشاعره اخراجاً شعرياً مؤثراً .

أ . الحجاج لغة واصطلاحاً:

الحجاج لغة :

الحجة : البرهان ؛ وقيل : الحجة ما دوفع به الخصم ؛ والتحاج : التخاصم ؛ وجمع الحجة : حُجَجٌ وحِجاجٌ ، وحاجة محاجة وحجاجاً: نازعاً الحجَّة، يقال حاججته فأنا محاج وحجيج فعيل بمعنى فاعل .(ابن منظور، ٢٠٠٠،ص ٣٨).

لا يخفى ما للحجاج من أهمية ، كونه من أهم النظريات التي تهتم بها التداولية الى جانب نظرية التلفظ وافعال الكلام ،وهو يركز اساساً على دراسة الأسلوب الذي ينسجه المتكلم للتعبير عما بداخله، واقناع المتلقي بالعبارة او الموضوع أو الحجج ، فلفظة الحجاج تدل على البرهنة على صدق اثبات ما ، أو استدلال الطابع الصحيح من وجهة نظر منطقية؛ فلقد نشأت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية؛ ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطاً معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار.(النقاري، ٢٠٠٦، ص ٥٥، ص٥٦) .

وقد وردت لفظة الحجاج في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله تعالى : ﴿فإن حاجُوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن...﴾ (سورة ال عمران ، اية ٢٠) الحجاج هو الحجة (الدليل) والبرهان وتحاجوا: تجادلوا واحتج عليه ، اقام عليه الحجة ،وعارضه مستنكراً فعله، حُجَجٌ، وحِجاجٌ. (مصطفى وآخرون ،١٤٢٦، ص١٥٧).

الحجاج هو الأسلوب الذي يسلكه الخطاب لإضفاء سمة التماسك الشكلي والدلالي على ما ينسج من تراكيب تمنح الخطاب بعداً اقناعياً في التواصل اللغوي(الدريدي ،٢٠١١،ص٣٩)

إن من أهم مثيرات الحجاج وبواعثه في شعر ابن الأبار الأندلسي خصوصاً، والشعر الأندلسي عموماً أنه يمثل الفعل الذي يدفع الشاعر الى المحاججة والتعليل هو الحافز او الباعث فهما يدفعان الشاعر الى الاستجابة التي تتمثل في ابراز الدليل القاطع او الحجة (البرهان) من الشاعر لمتلقيه (المصدر نفسه ،ص ٢٣٧).

الحجاج اصطلاحاً:

يعد الحجاج خطاباً اقناعياً يصرف المتلقي او القارئ الى تغيير سلوكياته وثقافاته انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقي؛ أي اقناع المتلقي بما يعرض عليه من خلال الخطاب الحجاجي وذلك لاستمالة عقله ، والتأثير في سلوكه ، لذا نجد أن اسلوب التناول هو المهم وأن عبقرية الشاعر تستطيع أن تقدم الجدل والآراء بتجربة فنية وصولا الى نتائج الإقناع والتأثير لدى القارئ ، وبأبهى صورة وبطرق تنظيمية في عرض الحجج (الدريدي ،ص٢١).

ب_ ابن الأبار: مولده ونشأته (٥٩٥هـ- ٦٥٨هـ):

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد البلنسي القضاعي ، أديب ، أصله من أندة من أعيان المؤرخين، من أهل بلنسية ، نشأ بها وسافر منها حين احتلها الإفرنج، كان من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .(ابن قنفذ، ١٩٨٣، ص ٣٢٤).

وبمدينة بلنسية المشهورة ، وجمال طبيعتها ، واعتدال مناخها ، وفي عائلة معروفة بالعلم والثراء والعفاف، نشأ ابن الأبار تنشئة صالحة محاطة برعاية عائلته التي وفرت لأبنها ظروفاً تساعده على التفوق والنبوغ والمقدرة الفكرية والشعرية (المصدر نفسه ،ص٣٢٥).

عرف ابن الأبار بالجد والمثابرة والبحث ، ولم يكتفي في الأخذ عن شيوخ بلنسية وشرقي الأندلس بل نراه يقوم برحلة علمية عبر المدن الأندلسية للدراسة والبحث؛ فكان إنموذجاً لطراز أهل العلم في الأندلس ومن شيوخ عصره

يقول ابو ربيع بن سالم الكلاعي (٥٦٥هـ – ٦٢٤هـ) عنه وكان من أكبر اساتذة ابن الأبار، وأبعدهم أثراً في حياته "(... وكان في وقته فقيه الأندلس وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ، لا يجاريه أحد في ذلك ولا يدانيه)" .(ابن الأبار ، ١٩٨٥،ص١٨).

يعُد ابن الأبار من أعلام الشعراء النابهين ،والأدباء المرموقين الذين كان لهم باع كبير في محافل الأدب العربي عموماً والأدب الاندلسي خصوصاً، أبا عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي الذي نال في عصره وفيما بعده من الأدباء الأعجاب، والمنزلة الرفيعة ، كونه من الشعراء المتميزين الذي كان من اللائق ان يكون معروفاً بين أقطاب الأدب والشعر العربي (ابن الأبار ، ١٩٩٩، ص٣).

يرجع نسبه الى قبيلة قضاعة ،القبيلة العربية المعروفة التي استقرت شرق بلاد الأندلس ، وقد صرح بنفسه الى نسبه اليمني في بعض قصائده قائلاً: (المصدر نفسه ، ص ٢٢٧).

فإنْ عُد بيتي في قُضاعة أولًا فَمن عُد مولاها هُو المـاجدُ الحُر
على أنها جُرثومة اليمن التي لها من بني عدنان الحلف والصهرُ

ويشير ابن الأبار ايضاً الى نفسه في بعض قصائده صراحة الى نسبه اليمني إذ يقول من صبابته:(المصدر نفسه ، ص ٦٨).

لها الله لم ضنت علي بوصـــــلهـا ولم حرمتني القرب دون ذرى القربـــى
وماضـــــــرها أني يمـــانٍ وأنها لقيسٍ، ألسنا في تعـــــارفنا عــربا؟

ويقول ايضاً: (المصدر نفسه : ٦٩).

فكلُّ صباح في الشروق مفضض وكل أصيل في الغروب مُذهـــــب
وما أربي إلا الرصـــافة لو دنت وهل للهوى إلا الرصافة مَذهـــــب

وقد نشأ بمدينة بلنسية المشهورة بجمال طبيعتها ، واعتدال مناخها ، وفي عائلة معروفة بالعلم والدين ، فوالده كان من علماء بلنسية ، فنهل من معارف والده فضلا عن مجالسته العلماء معتمداً على نباهته وذكائه في تحصيل المعارف والعلوم .(ابن الأبار،١٩٨٥،ص٢٩١).

فقد أجمعت كل المصادر التي بين ايدينا ، أن مولده كان في بلنسية إحدى مدن شرق الأندلس ، وقد وصفها المقري التلمساني بقوله :"تعرف بمطيب الأندلس ....، وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ، ...، ولم تخل من علماء ولا شعراء ، ولا فرسان ...واهلها أصلح الناس مذهباً ، ... " (المقري ، ١٩٦٨ ،ص٥٨٩) .
فضلا عن ذلك ذكر عنه أنه كان كامل الرياسة ذو أُبهة وجلالة ، وبهذا لا صحة لما قيل من أنه لقب اطلق عليه لبذاءة لسانه أو رثاثة هيئته كما نوه الابياري اثناء تحقيقه لكتاب المقتضب في تحفة القادم (الصفدي،ج٣،٢٠٠٠، ص ٢٨٣).
عاش شاعرنا في مدة اتسمت بالقلق والاضطراب السياسي ، لكنها لم تقف عارضا في مسيرة ابن الابار الأدبية (ابن الابار،١٩٨٥،ص١٧).
من المتعارف عليه أن الأنسان يخلد بإعماله الصالحة التي فيها منفعة للآخرين ، لذا خلد ابن الآبار بعمله ونتاجه الشعري النافع ، فاشتهر بالحديث والفقه والتاريخ لما أمتاز به من صفات العالم الصادق الحافظ المقرئ ،وقد عكست لنا صورة واضحة عن المعرفة الموسوعية التي تحلى بها، إذ لم يترك ابن الأبار اللغة والأدب جانباً وإنما حظيا

باهتمام كبير من تفكيره لأنه لم يكن بمنعزل عن الحياة العلمية والأدبية التي سادت عصره .(ابن الأبار، ١٩٨٥،ص١٦) .

كان ابو عبد الله الأبار القضاعي مبالغ في ذم الزمان إذ غلب عليه حب الرياسة والدنيا ، فحدث له ما حدث ، واعتراه بحسده ما اعترى إذ كان يُحسَد في نفاسة أدبه ،وقد اظهر بخطه قبائح كانت سماً ذعافاً – رحمه الله – ومن المعروف أن ابن الأبار كان يسمى بالحافظ لكثرة حفظه من أحاديث رسول الله (صلى).(الطواح ،٢٠٠٨ ، ص ٢٢١-٢٢٢).

وقد أشار الزركلي الى الإنتاج النثري لأبن الأبار وذكر الكثير من مؤلفاته منها : "التكملة لكتاب الصلة في تراجم علماء الأندلس ، والمعجم في التراجم ، واعتاب الكتاب في أخبار المنشئين ، والحلة السيراء في تاريخ أمراء المغرب ، وإيماض البرق في أدباء الشرق ، والغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، وله شعر رقيق ".(الزركلي ،٢٠٠٢ ،ص٢٣٣).

وقد أشار صاحب ذيل التكملة الى اشتغال ابن الأبار بالعلم فذكر تلاميذه وشيوخه وجانباً من مصنفاته وشيئاً من أشعاره ومراسلاته ، وعن وفاته ومقتله ، قال :"ولم يطل مقامه بتونس حتى نقم عليه خوض تاريخي نسب اليه ، فقتل أشنع قتلة ،وغودر اوعظ مثلة ،وذلك غدوة يوم الثلاثاء لعشر بقين من محرم ثمان وخمسين وست ومئة ".(المراكشي،٢٠١٢، مج٢، ص٤٥) .

ويقول ابن خلدون : كان فيه أنفة وبأو (عظمة) وضيق خلق ، فأوجد له اعداء ألداء ، واستطاعوا أن يقنعوا المستنصر باشتراكه في مؤامرة ضده ، فأمر بقتله وإحراق أشلائه وكتبه، وهكذا قُتل سنة ٦٥٨هـ مظلوماً مأسوفاً عليه من معاصريه وكل من جاء بعدهم .(شوقي ، ١٩٨٩، ص ٣٨٦).

عدَّ ابن الأبار في الذروة من مؤرخي الأندلس وعلمائها البررة الموثوق بهم ثقة لا تدانيها ثقة ، وهو في مقدمة من مكنوا الباحثين المعاصرين من الكتابة عن الأندلس وأعلامها النابهين بفضل كتبه النفيسة.(المصدر نفسه: ص٣٨٧)

صور الحجاج في شعر ابن الأبار:

القارئ لديوان ابن الأبار يجده قد أتبع سابقيه من الشعراء فاستخدم كل أنواع الحجاج لرسم صورة كاملة يتشكل منها النص الشعري :

١- الحجاج في الصورة البيانية

يعتمد ابن الأبار في هذا النوع التصوير غير المباشر القائم على التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل والمجاز المرسل ، واحتل الحجاج في الصورة البيانية مكان الصدارة ويكثر استخدامها لديه في غرضي المديح والغزل ،يقول من قصيدة يمدح بها أبا زكريا اثر العفو عنه:(ابن الأبار،١٩٩٩، ص٢٣٥، ٢٣٦)

تحلّت بعــلياك الليالي العواطل ودانت لسقياك السحاب الهواطل

وما زينة الأزمـــان إلا مناقب يفرعها أصـــــلان : بأسٌ ونائلُ

إذا الصول والطول استقرا براحةٍ تــرقت لها نحو النجوم أنامـــُل

يلاحظ أن ابن الأبار استخدم التعبير غير المباشر، أو التعبير بالصورة البيانية المعتمد على الاستعارة ؛فالخطاب الحجاجي يرتكز على مبدأ التدرج في توجيه الحجج بحيث تكون المحاجة اللغوية مرتبطة بالمحتوى الفكري للمتلقي ، لذا تعد مسألة انتقاء الحجج قاعدة اساسية في الخطاب الحجاجي ليكون اكثر اقناعاً وتأثيراً في المتلقي فضلا عن كشف براعة ومهارة الشاعر ابن الأبار.(ابو بكر الغراوي،٢٠٠٤ ص٣٥٢) .

وفي الغزل تتداخل الصور البيانية الحجاجية مع صورة الحركة والصورة المباشرة والنفسية والرمزية ، للتعبير عن جمال المحبوبة او قسوتها ، يقول : (ابن الأبار،١٩٩٩، ص١١٥)

إن في الهودج حمراء الحلى من بنات الحي تصبي الهودجا
حملت فتنة من يرمقـــــها مبسماً عذباً وخصراً مدمـــجاً

نجد أن ابن الأبار كغيره من الشعراء القدامى يتحدث عن المرأة من خلال صفاتها الحسية ، فالمرأة في شعره جمال ودمية ولعبة ، قربها أنس ومتعة ، وبعدها سهر وسهاد ،فهنا نجد الأثر الحجاجي في هذا النص الشعري مؤدياً وظيفة الأقناع وتأثيره النفسي والانفعالي لدى المتلقي ،ويبرز ما لهذا النسق العاطفي من أثر في توجيه الدلالة نحو التمني ، مجسداً وظيفة الحجاج واسلوبه هذا في اقناع المتلقي بما يمر به من ألم ولوعة وشدة الشوق .

أبن الآبار يصف اشعاره كتشبيهات تقليدية ، فهو يشبه اللحظ بالسيف والسهام ، ويشبه خضاب الأصابع والأيدي بالعناب، والثغر والريق بالأقداح والخمر، يقول في مدحه الأمير أبا زكرياء : (ابن الأبار،١٩٩٩ ،ص٢٣)

لا أعصر الخمر بل لا أغرس العنـــبا حسبي ثغور تبيح الظلم والشـــنبا
إذا تدار على صـــــاح ســـــلافتها يوماً تهافت سكراً وانتشى طـــربا
وظل يهزج في أثناء نشـــــــــوته حتى كأن دم العـــــنقود ما شربا

نستشف من النص أن الخطاب الحجاجي يرتكز على مبدأ التدرج في توجيه الحجج بحيث تكون مرتبطة بالمحتوى الفكري للمتلقي وهذا ما وجدناه في أشعار ابن الأبار فقد وظف الشاعر في ابياته اسلوب النهي وللنهي صيغة (لا) وهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام وطلب الالتماس في أثناء حديثه عن مشاعره وما تضمنه الابيات من معاني ودلالات من هجر وفراق ومدح ورثاء، فنلحظ أن النهي في (لا اعصر ، لا اغرس) خرج النهي الى دلالة مجازية فالشاعر يخاطب نفسه (لا اعصر الخمر، لا اغرس العنبا) ليؤكد انفعال الشاعر وتأثيره ضمن دلالات السياق، كأنه افرغ ما يعتريه من شحنات الوجد التي تملكته ويريد اخراج زفراته كلها بآنين وتوجع.

٢- الحجاج في الصورة الرمزية :

تلك الصور قائمة على استخدام الرمز الحجاجي ، كاستعمال الحمامة رمزا للسلام ، والبحر رمزا للعطاء وهذا واضحا جلياً في اشعار ابن الأبار، قوله في مدح السلطان.(ابن الأبار،١٩٩٩ ، ص٤٤).

يا بحر علم وجود لا كفاء له مرجانه ملء أيـــدينا ولؤلؤهُ

البحر هنا رمز للسعة والعطاء.

ومثل ذلك قوله : (المصدر نفسه، ص٤٠)

تقع الجلائل وهو راس راســـــــــخ فيها بوقـــع للسعود جـلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصـــــفها لا زهـــوها، يخشى ولا هوجاءها

والطود هنا رمز للمتعة والقوة.

نجد أن الشاعر وظّف مجموعة من أشعاره الواردة في الديوان توظيفاً رمزيا، لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر فقد انتظم خطاب الشاعر مع نفسه، وقد تميز بشكل لا يخفى على مطلع تفرد الشاعر الأندلسي في اسلوبه انسجاماً مع مجتمعه وبيئته في سياق خطاه الحجاجي الرمزي .

ومن الصور الرمزية التي استعملها ابن الابار قوله في قصيدته (الاستنجاد) التي القاها بين يدي ابي زكرياء يصف حال بلنسية : (المصدر نفسه، ص ٣٦).

راحت بها الورقاء تسمع شدوها وغدت ترجع نوحها وبكاءها

ففي هذه القصيدة تتحول مظاهر الاستنجاد الى رموز ذات معطيات حية ، ويوحي الصوت وقعا نفسيا شبيها بذاك النوح او البكاء .

ان التراسل بين الحواس ، يعد مبدأ من أهم المبادئ الرمزية ، والانفعالات الخارجية تبلغنا عن طريق الحواس في الوجدان والعواطف والاصوات .(مرعي ، ٢٠١٦ ،٥٥).

إن قدرة الشاعر على التميز والابداع الفني الحجاجي تكمن في احدى جوانبها في غناه لجملة من البنى اللغوية والفنية التي استقرت في ذهنه . وكان ابن الابار الأندلسي ممن احتفى شعره بتلك الظاهرة فلا يكاد ركن من اركان ديوانه ، او مقطع من قصيدة الإ وكان الحجاج في الصدارة .(المصدر نفسه :٤٤).

ومن جميل شعره في سعيد بن حكم رئيس منرقة: (التلمساني ،١٩٦٨،ص ٤٦٧)

سـيد أيد رئيس بئيس في أساريره صفات الصباح
قمر في أفق المعالي تجلى وتحلى بالسؤدد الوضـاح

٣- الحجاج في الصورة النفسية :

الصورة النفسية كثر استعمالها في شعر ابن الأبار وخصوصاً في غرضي الرثاء والشكوى يقول من قصيدة رثى بها السلطان ابا زكرياء: (ابن الأبار : ٢٧٦)

سيف الهدى أودى به سيف الردى قد يفتك الصمصام بالصمصـام
ما للنجوم ، طوالعا ، ما للجـبا لـ رواسيا ؟ ما للبـحار طوامـي؟
لم لمْ تغر ، لم لمْ تزل ، لم لم تغض من شدة الحـسرات والالام ؟

نرى ان الصور البيانية والنفسية في هذه الابيات ،قد تداخلت فيما بينها بإستعماله ادوات الربط والاستدلال المنطقي لكي يكون هناك ترابط بين الجمل والمفردات اللغوية ،هكذا وظف ابن الابار هذه المفردات الحجاجية في ابياته الشعرية فقد وظف الاستفهام الذي خرج للتعجب ليوحي بشدة الالم والأسى ، وكأنه يقول إن كل شيء ينبغي أن يكون حزيناً من فقد السلطان فلم لا تغور النجوم ، ولم لا تزول الجبال ، ولم لا تغيض البحار حزناً على موته .

ايضاً يقول ويستمر في تصوير شدة الحزن على السلطان: (ابن الأبار، ص ٢٧٦ - ٢٧٧)

كان الزمان يضيق عنه جلالـة فإذا به في تربـة وسـلام

لا طيب في الاسحار والآصال مذ طـاب الثرى منه بخير امـام
يا فوزهم بخلافة تعـنو لـها خلفاء بيتي هاشم وهشـام

القصيدة مليئة بالصور القائمة على الاستعارة والتعجب والاستفهام ، وهي صور حجاجية متنوعة حيث انتظم خطاب الشاعر مع نفسه بإقامته على الحجة الواقعية ليكون أكثر إقناعاً لها وتأثيراً في تصوير شدة الحزن والالم لسلطانه.

إن ظروف المجتمع التي يحياها الشاعر أثر كبير في بناء شخصيته وتحديد ملامحها، وقد تميز المجتمع الأندلسي بانفتاحه على ثقافات مختلفة لكن في الوقت نفسه كان يعيش الشاعر حالة اضطراب وقلق مستمر نتيجة

الحروب والفتن ؛ فكان لسوء حال المجتمع وقت الأزمات أثره في اتجاه الشاعر نحو التحليل، والاحتجاج ،والاستدلال . (عبد عطية ،٢٠١٦، ص١٥).

ومنها قوله في التحسر على فقد الوطن ويصف صورته النفسية مستذكراً وطنه وجناته التي فقدت :(ابن الأبار ، ص١٨٦)

يا ســـــــقى الله للرصـــــافة عهداً كنسيم الصـــــبا يرق ويـــــــندى
ليت شعري هل يرجع الدهر عيـشـــاً يشهد الطيب أنه كـان شهـــــــداً
حيث كنا نغازل النرجس الغـــــــــض جفــونا ونهصر الأس قـــــدا

تبرز في هذه الصورة براعة الشاعر في بناء خطابه الحجاجي وتصاعد وتيرة حواره مع المتلقي فالخاصية التحاورية مهمة وضرورية في تأكيد حجاجية النص .

ويستمر في ابراز الصور النفسية التي توحي بالألم والمرارة والحزن والاسى والحسرة ومنه قوله يصف حال الشهداء في موقعه أنيشته عام ٦٣٤هـ : (ابن الأبار ، ص ٢٩٠).

وبـــــين الثنايا والمخارم رمـــة سرى في الثنايا طيبها والمــخـارم
بكتها المعالي والمعالم جهـدهـــا فلهـــف المعالي بعدها والمعالم
كأن دماً أذكى أديم ترابـــــــها وقد مازجته الريح مسك اللطائـم
يشق على الإسلام إسلام مثلـــها الى خامعات بالفلا وقشـــــاعم

نلحظ من الأبيات ارتكاز الشاعر على الجانب الوصفي ، وبذلك يشكل كل من الوصف والحجاج ثنائية اقناع يوظفها الشاعر بتتابع حججه وهو هنا يصور حالة أولئك الشهداء ، كيف صارت جثتهم رمماً بالية ، ملقاة بالعراة ، الاّ أنها طيبة الرائحة ، ثم يصور كيف أنه من الصعب أن يسلم الإسلام مثل هؤلاء لتأكلهم النسور والضباع وهم الذين كانوا علاة القوم من الناس .(عبد عطية ، ص ١٨).

ويستمر في وصف حاله وأسفه وبكائه وبكاء الباكيات على فقد هؤلاء النخبة ومنها قوله : (ابن الابار ،ص ٢٩١).

سلام على الدنيا إذا لم يلح بها محيا سليمان بن موسى بـن سالـم
وهل في حياتي متعة بعد موته وقد أسلمتني للدواهي الدواهـــــــم
أخو العزة القعساء كهلا ويافعا واكفاؤه ما بيـن راض وراغـــــــم

والأبيات بمجملها تحمل صوراً نفسية توحي مجتمعة بشدة التحسر والحزن ،استخدم فيها ابن الأبار الصورة القائمة على التشبيه ،والاستعارات والمجاز، وغيرها؛ ليثير ذهن السامع ويبكيه ويدهشه ويهز كيانه وبواعث النفس الأصيلة ،وهو في كل تلك الصور الحجاجية يتبع اسلافه من الشعراء ،وهذا يدل على اتقان وفكر الشاعر ابن الأبار لاستحداث بعض العلاقات بين المشبه والمشبه به أو بين الحقيقة والمجاز .

أساليب الإنشاء في قصائد ابن الابار :

تنوعت الأساليب الإنشائية لدى شعراء الأندلس، وخاصة في ضوء دراسة الوظيفة الحجاجية لأساليب الإنشاء في شعر ابن الابار إذ كثيراً ما تنبني الحجة بأسلوب انشائي ،ذلك لان الأساليب الإنشائية تنقل واقعاً ولا تحكي حدثاً ، وانما تثير المشاعر وتشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة.(محمود ،٢٠٢١،ص ١٦).

أولا: اسلوب الاستفهام

الشاعر ابن الابار استخدم كثيراً من الأساليب الاستفهامية في قصائده – لتعزيز حجاجية السؤال في الدلالة على التحسر ، ومما قاله في صباه :(ابن الابار ،ص ٥٣).

هل لمُعاني الهوى دواء أم هل لعَاني الهوى فداء
وما لدمعي يعود ناراً من شدة الشوق وهو ماء

وقال في خسوف الهلال : (ابن الأبار ،ص ٥٤)

ألم تر للخسوف وكيف أودى ببدر التمّ لماع الضياء
كمرآة جلاها الصقــل حــتى أنارت ثم ردت في غشاه

وأسلوب الاستفهام جاء هنا باستخدام الأداة – هل –الهمزة– للتأثير في المخاطب واقناعه من خلال ايراده استفهامه هذا ،لأن الاستفهام هذا يمثل الأسلوب المهيمن والابرز الذي افاد وظيفة الأقناع لدى المتلقي فقد استعمل الشاعر، اداة الاستفهام – هل – الهمزة– والتي يخرج الاستفهام فيها الى دلالة المعنى اللوعة والتحسر والصبابة ، والشاعر يلتزم الاستفهام بأداة واحدة، ويلح على تكرارها إذ وظفها توظيفاً اقناعياً، وكيف يحرض ابن الأبار ابا زكرياء لإنقاذ الاندلس بعد ان كانت لهم صولات وجولات في حياتهم.

فأسلوب الاستفهام هنا عند ابن الابار يمثل الاسلوب الابرز الذي افاد وظيفة الاقناع لدى المتلقي فقوله في خسوف الهلال نجد الفضاء الحجاجي الذي استخدمه ابن الابار في وصف الطبيعة الالهية الكونية وهذا يدل على التنويع في ضروب التعبير عن الأفكار والمعاني في شعر ابن الابار الحجاجي ، والتي اثرت حجاجياً في نفس المتلقي في الوقت نفسه . (عسكر، ص ١٧).

ثانياً: اسلوب الأمر

يعد اسلوب الأمر احدى وسائل الحجاج المهمة كما هو الحال في الاستفهام ، كما يعد من وسائل التأثير في المتلقي ،لأن اسلوب الأمر له اهمية كبيرة في بناء النص الأدبي وتوظيف دلالاته الحجاجية في الإقناع والتأثير لدى المتلقي ، لهذا السبب نجد أن الشعراء الأندلسيون يخرجون في نصوصهم الشعرية الأدبية من المعاني الحقيقية للأمر الى المعاني المجازية لأنها تقدم لهم فضاءً واسعاً في التعبير عن احاسيسهم ، وتجعل المتلقي على صلة وثيقة مع الحدث الذي يروم الشاعر الأندلسي ايصاله ، وهذا ما وجدناه عند شاعرنا ابن الابار البلنسي ومنه قوله :(ابن الابار ، ص ١٠٨)

لا أرتضي الباخل خلاً وإن أحله الإيسار في ذروته
دعه يكاثر بالثراء الثــرى قناعتي أكثر من ثروته

هنا نجد الأثر الحجاجي في هذا النص الشعري ، وقد خرج الشاعر الأندلسي فيه من اسلوب الأمر ، الى الإهانة والتحقير والذي جاء في ضوء صيغة فعل الأمر (دعه) ،مؤدياً وظيفة الإقناع وتأثيره النفسي والإنفعالي لدى المتلقي . (عسكر ، ص ١٩).

ومنه قوله : (ابن الأبار ، ص ١١٣).

أحسِنُوا العطفَ عليها مهجا وجـــد الحب إليها منُــهجا
واحفظوها من ظبي ألحاظكم حفظكم ذاك اللمى والفــلجا
أقدرتم فظلمتم من رنـــــا دون جرم وحرمتم من رجـــا

نجد ابيات الشاعر ابن الأبار الحجاجية قد خرجت من اسلوب الأمر الى اسلوب النصح والإرشاد .فالشاعر يريد من هذه الدلالة أن يعبر عما يضمره من الحب والإخلاص لإتباعه او لمن يحب ، وهذا هو سر التعبير بأسلوب الأمر في مقام النصح والرشد ودلالاته الحجاجية ، في التأثير والإقناع .(عسكر، ص١٩).

ثالثاً: اسلوب النهي

وظف شاعرنا الأندلسي ابن الأبار البلنسي اسلوب النهي وطلب الإلتماس في أثناء حديثه عن مشاعره واحاسيسه وما تضمنه من معاني ودلالات من هجر وفراق ووصف الطبيعة ومدح ورثاء ومنه قوله في مدح ابي زكرياء: (ابن الأبار ،ص ٨٢)

لا يسلب الجبار بيضة ملكه إلا إذا هو حاد عن اسلوبـه

تتقمن الأقدار ، خادمة له سراه في سلمـــــه وحروبـه

وافى الزمان به إماماً عادلا والجور قد عم الورى بضروبه

لقد دل النهي في –لا يسلب– على النصح والإرشاد وانتقال اللفظ من الدلالة المباشرة الى الدلالة المجازية والذي بدوره يرفع من القيمة التداولية التي يقيمها التأويل النصي للكلام ، فالشاعر يعطي صفة من صفات –السلطان – وهي الجبار ثم يليه ضرورة الاتعاظ وترك الغفلة وعدم الانجرار وراء الدنيا وزينتها . (المصدر نفسه ،ص ٢٢).

ومن قوله :(ابن الأبار ،ص ١٠٢)

ولا استعذب القلب المعذب حتفه وحسبك تعذيباً يرى الحتف أعذبا

بَكيت على تلك الحقائب حقبة وحق لعيني أن تسح وتسكـــــبا

سلام على دوح السلام فكم لنا مقيلا بها ما كان أندى وأطــيبـا

لا يخفى ما في هذا البيت الشعري من موقف عاطفي عميق وتعبير جميل حيث لون اسلوب النهي بقوله – لا استعذب – بأسلوب الخطاب المباشر وتأثيره في النفس وقدرته على الإقناع بالموقف وابداعه الفني في اخراج المعنى من الحقيقة الى المجاز ، وتوظيفه للحجاج في التعبير عن المعنى الذي يروم إليه باستخدامه اسلوب النهي .

رابعاً: اسلوب النداء

اعتمد شعراء الأدب الأندلسي على أسلوب النداء وادواته للتعبير عن معانٍ ودلالات كثيرة تفهم من النظر الى السياق الشعري الذي وردت فيه الأدوات ، لذا تمسك الشعراء وبالأخص الشعراء الأندلسيين على اخراج النداء من معناه الحقيقي ووضعه في شكل فني آخر ومنه قول ابن الأبار يمدح السلطان : (ابن الابار ،ص ٨٢)

يا حـــبذا نجد وسالف عهده فيه استفدنا طيبها من طيبـه

ملك أقام الحق عند قعـــوده وأعاد فيض الجود بعد نضوبه

ومنه قوله : (المصدر نفسه ،ص ٧٨)

يا آل خَولة لا ألو مضاربـــــكم حَوما عليها رجاء الورد إذ عُذبـــا

وإن حجبتم عن الأبصار هودجـها فحاجب الشمس لا يخفى وإن حجبا

اعرى الصوارم لما بات مدرعـــاً مفاضة الحزم واستدنى القنا السلبا

ومنه قوله : (ابن الأبار ،ص ٧٤)

يا ابن الإمام المرتضى هُنئتها شيماً ورثت ضروبها وضرائبـــا

يا حضرة التوحيد زانك حاضراً ثـــم استقل يسد ثغرك غائبـاً

جسد اسلوب النداء في ابيات الشاعر البلنسي دلالة للمعنى ؛ فأسلوب النداء في شعره أحد الوسائل الخطابية المهمة التي تعبر عما يدور في خلجاته ونفسه المفعمة بالحب الصادق والمشاعر معبراً عن التجربة الشعورية والانفعال الذي يدل على موقف المتكلم والمنادى في الوقت نفسه .

ابن الابار ابدع في توظيف الحجاج وما فيه من أساليب الإقناع والتأثير وبالأخص المتلقي ، فقد حرص الشاعر على المنادى وايضاح الموقف العاطفي العميق والتعبير الجميل عن مشاعره في مدحه لسلطانه وغيرها من الأمور التي وظفها في شعره ، حرف النداء – يا – استخدمه الشاعر للدلالة على الغربة والتحسر والشوق والحنين للوطن وللأهل، اعطى بذلك اسلوب النداء معنى بلاغياً

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث الذي سعينا فيه برزت لنا من خلاله بلاغة الشاعر الأندلسي أبن الأبار وثقافته الكبيرة التي اكسبته براعة فنية وبلاغية انعكست على شعره بصورة كبيرة :

- إذ خرج شعره من معناه الحقيقي الى معان غير حقيقية مجازية حجاجية مستعملاً اسلوب الاستفهام وأدواته :أين ، الهمزة ، هل فضلا عن استعماله لإسلوب الأمر ودلالاته التي خرج منها للنصح والإرشاد والالتماس ، والتعجب ، والتحسر ، والالم ، واستعماله اسلوب النهي وطلب الالتماس اثناء حديثه عن المشاعر والأحاسيس والفراق والهجر بصيغة لا الناهية والفعل المضارع بإسلوب الخطاب المباشر وتأثيره في النفس وقدرته على الإقناع ، فضلا عن استعماله أسلوب النداء وأدواته للتعبير عن معان ودلالات كثيرة يفهم من النظر الى السياق الشعري التي وردت فيه هذه الأدوات مثل حرف النداء يا، يامن ، أيها .

فقد ابدع في توظيف الحجاج وما فيه من أساليب الأقناع والتأثير وايضاح التأثيرات التي تعمد الى تغير أحوال الكلام في الواقع الخارجي ، او عن طريق التأثير في المتلقي وتوظيفها في اشعاره .

- فقد اعتمد الشاعر التسلسل المنطقي في بناء حجمه ، فبدأ بأقربها للمتلقي واكثرها قبولا لديه ومن ثم عرج على عرض باقي حججه .
- بين البحث تميز الحجاج الأندلسي عن المشرقي بانسجامه مع طبيعة المجتمع الأندلسي ، فهو لم يكن عقلياً صارماً بقدر كونه مقنعاً قريب المآخذ .

إن الصورة تؤدي دوراً مهماً في الشعر، إذ هي توضح وتكشف المعنى وتثبته في نفس المتلقي ، وبهذا تصبح الصورة أداة ووسيلة نقدية في دراسة الأبداع الشعري.

المراجع :

- **القران الكريم**

١) ابراهيم مصطفى وآخرون :(١٤٢٦هـ) المعجم الوسيط ،الجزء الأول والثاني ، ط٥، باقري ،مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، ايران .

٢) ابن الأبار : (١٩٩٥) التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبد السلام الهراس ، دار الفكر ، بيروت .

٣) ابن الأبار :(١٩٨٥) ، الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ، ط٢، القاهرة ، دار المعارف .

٤) ابن الابار :(١٩٩٩) ديوان ابن الابار ، تع: الاستاذ عبد السلام الهراس ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية .

٥) ابن قنفذ القسطيني ، ابي العباس احمد بن حسن علي الخطيب : (١٩٨٣) ، الوفيات ، تح: عادل نويهص ، ط٤، بيروت ، دار الأفاق الجديدة.

٦) ابو بكر الغراوي : (٢٠٠٤) ، الحجاج في اللغة ، جريدة القدس ، العدد٧، الدار البيضاء .

٧) ابو بكر محمد ، ابو عثمان سعيد : (١٩٦٥) الأشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، تح : محمد يوسف ، القاهرة .

٨) التلمساني ، أحمد بن محمد المقري : (١٩٦٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٣، تح احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٩) حمو النقاري: (٢٠٠٦) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، ط١، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء .

١٠) الزركلي ، خير الدين : (٢٠٠٢) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الغرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥، بيروت ، دار العلم .

١١) سامية الدريدي :(٢٠١١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ط٢، الأردن ، نشر عالم الكتب الحديث.

١٢) الشيخ عبد الواحد محمد بن الطواح :(٢٠٠٨)، سبك المقال لفك العقال ، تح : محمد مسعود جبران ، ط٢، طرابلس ، دار الكتب الوطنية .

١٣) الصفدي : (٢٠٠٠) الوافي بالوفيات ، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت .

١٤) ضيف ، شوقي : (١٩٨٩) تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات الأندلس ، القاهرة ، دار المعارف.

١٥) عبد عطية ، بشرى (٢٠١٧) الحجاج في الشعر الأندلسي – عصر الطوائف ، مجلة فصل الخطاب،ع١٨، مج٥ .

١٦) عسكر محمود، ندى (٢٠٢١) الحجاج في اسلوب شعر شعراء الاندلس، مجلة علوم العربية ،مج ١، العدد٢.

١٧) المراكشي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (٢٠١٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، مج٢، دار الأدب الإسلامي ، الطبعة الاولى ، تونس.

١٨) نورا مرعي : (٢٠١٦) تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، الفارابي للنشر والتوزيع.